

ذاك الرجل الذي لم يأت الزمان بمثله، حنونا كأنه ورق ورد توضع رائحته عبر الأفق، كريما كأنه سحابة تعصر نفسها حتى آخر قطرة لتروى أرضا عطشى شققته الأيام لكأنها تجاعيد عجوز طاعنة في السن حتى أرذله.

لم يكن ظني وأنا أعطيه ما أعطيت أنه سيغدر بي، وهل غدر بي فعلا؟! هكذا جاء محركا رواكد ظلت أبد الدهر ساكنة، هكذا رحل خالقا زوابع تحيط بي وتبعثرني وتلممني لتعيد بعثرتي من جديد.

اختفى!! نعم اختفى وعاد لجسدي تشققاته ولكن التشقق ليس سببه البوار ولكن نبتة ما تنمو مكونة ألف خوف.

أبى ذاك الذي أعطاني العمر كله كان يرقب من البعيد، هل كان يعرف؟! أم أنه فقط إستغرب التغيرات التي تحيط بي.

لا أم لي، يقال إنها ماتت لحظة ولادتي وأن ذاك الأب هو من أعطاني الحياة، ما باله يشاهد تكوراتي دون أن ينبس بشيء هل يفهم ما تعنيه تغيراتي أم أنه فقد جميع ما يعرفه عن الأنثى منذ زمن ماض أهداه لي.

يالإرهاق الذي يحيط بي، أحس كأني سأنفجر وأحس والذي أيضا سينفجر وأحس العالم كله سيتحطم في هذه الليلة المظلمة التي نفت نجومها إلى مجرات نائية.

جاء أبى إلى وكان أول يوم نتبادل فيه الحديث وسمعته كأنه يقول:

- هيا معي!
- إني أكاد أموت يا أبى؟
- ستموتين؟ فهذه الليلة لا نجم فيها يرعى الحياة لمثلك!!

وبدون أي إحساس برفض أحاط بي بذراعه، نمشي سوية في شوارع فارغة كمشاعري  
والطريق تبتعد بنا ونحن نبتعد عن البشر وعن جملة الأحياء ونقترب سوية من المقبرة  
القاطنة خارج مدينتنا الشوهاة.

لم أستطع أن أقول شيئاً ولم يستطع هو كذلك، هل كنت خائفة؟ هل كان غاضباً؟ هل كنت  
نادمة؟ هل كان صارماً؟ لا أحد يدري لا أنا ولا هو.

وهناك في أقصى حدود المقبرة إنتصب شاهد بدون عنوان لشخصية دفنت ربما بدون  
شهادة وفاة، لا إسم لها.

إتجه ناحية القبر ينبشه، قطرات دموعه تكاثرت وإختلطت بالتراب مكونة عجينة طينية  
بداء يكورها ويلصقها بجانبه.

والألم يزداد ولكن من كان أكثر ألماً من الآخر أنا أم هو واستلقيت على التراب أنتظر حكم  
إعدامي وأنا أنظر للسماء.

- يا سماء هل غفرت لي؟ أظن أنه يكفي عقاب مقترف الخطيئة بهجران المحب كم  
تعذبت عندما مرت ليال لم أجده فيها، ألا يكفي هذا العذاب أظنه يكفي وأظن أنى  
قد وفيت حسابي منذ القدم.

وإذ انتهت فإذا بأبي يطرق شاهد القبر ويكي وإفتح باب القبر لتخرج منة أنثى جميلة  
تنسج الإغواء كما تنسج الدود الحرير وفى وسط غابات الألام سمعتها كأنها تقول:

- جئت بها؟

- نعم وإني نادم؟؟

وسارت باتجاهي ترفل في كفنها واحتضنتني بشغف ما بعدة شغف وتمتمت بتعاويد سفلية:

- وريثة الخطيئة، مورثة الخطيئة.

وصرخ بها أباى:

- اتركها لى فأنا لا أعىش بدونها؟
- كنت تقول لى ذلك وتركنتى؟
- إنها ابنتك!!
- إذا فلتات معى!

وتفجر الماء من أحشائى وصرخت طالبة نجدة أى كائن من الأحياء أو الأموات ولا أحد وأحسست برأسى يتصدع وكأنتى نظرت إلى والدى يمسح الأمل من على وجه القبور وكأنتى أحسست والذى تذبحنى وهم تتمم تعاوىذها:

- يا ابنة الخطيئة، يا والدة الخطيئة.

والطفل يجاهد للخروج وكأنه فى سباق، فأر يريد أن ينجو بنفسه بعد أن تهدم كل شىء ورايتها طفله كأنها حورية تكونت من تناسل ملائكة وقطع والذى ما كان يصلنى بابنتى وأحتضنها واحتضننى وصرخ فى وجه الجميلة:

- اتركهما لى؟
- يا لك من طماع!!
- إنها ابنتى!
- وابنتى.
- قد سامحتها إن كان هناك ما أسامحها عليه.
- فلماذا لم يسامحنى أحد دفنت هنا حىة أراكم فى قبورى أحقاد العالم.

ولف والذى ابنتى فى معطفه والطفلة الزاعقة ما أن أحست بالدفء فى الحزن الذى كان لى حتى نامت بهدوء كأنها سعيدة لأنها احتلت مكانى.

شريرة منذ الولادة!!

ذهب أبي وصرخت به:

- يا أبي.. يا أبي

لم يجب وأحسست روعي تخرج من صدري كأنها سيخ من نار وصرخت به:

- ابنتي.. يا أبي.. يا أبي.

ووالدتي تسحبني إلى قبرها وهي ما تزال تهمس بتعاويذها:

- شريك خطيئة الماضي، والد خطيئة الحاضر، جد خطيئة المستقبل فليحصد  
أخطائه أبد الدهر وأبى يبتعد وهو محدودب الظهر يحنو على ابنتي ويحميها من  
ذلك البرد الذي يلفني ويبتعد ويبتعد ودخلت بي والدتي إلى قبرها.

وأغلقت باب الحياة.